

لماذا تراجع جونسون عن موقفه الصحيح من كورونا؟

خطر بعودة الوباء إلى الظهور. عندما يتدنى مستوى انتقال العدوى عن درجة 1، ما يعني أن كل مريض ينقل العدوى إلى أقل من شخص، "عندها فقط يتوقف الوباء" هذا ما قاله فلاهو، ويشاطره الرأي خبراء الأوبئة.

فالوباء، والكلام لا يزال لفلاهو "لا يتبدد بالضرورة، خصوصا إذا كانت نسبة المحصنين ضده لم تتخط 50 إلى 66 في المئة؛ قد يمر بمرحلة توقف، وهذا ما يحصل حاليا في الصين كما في كوريا".

وأوضح الخبير الفرنسي أن العوامل الصحية أو الجوية التي تكبح العدوى "مرحلة، وما أن تتلاشى، ينطلق الوباء من جديد حتى بلوغ مستوى المناعة الجماعية المذكورة" مشيرا إلى أن الأمر يستغرق "أحيانا عدة أشهر أو عدة سنوات".

بالطبع سيتبدل الوضع بشكل جذري إذا تمكنت شركات الأدوية الكبرى من التوصل إلى لقاح ضد كوفيد-19 يوزع في العالم خلال مهلة 12 إلى 18 شهرا. وهذا ما يامله الجميع.

دعونا نتذكر كلام المستشار الألماني أنجيلا ميركل، منذ أسبوعين، عندما قالت، إن ما بين 60 إلى 70 في المئة من الألمان سيصابون بفيروس كورونا المستجد؛ وهي النسبة التي قال علماء الرياضيات إن إصابات الفيروس ستصلها ليكتسب الناس مناعة توقف الوباء.

علي قاسم
كاتب سوري
مقيم في تونس



برهن رئيس الوزراء البريطاني، بوريس جونسون، في أكثر من مناسبة، على أنه سياسي جريء، وبرهن أكثر أن رجل السياسة لا يمكن أن يتبنى دائما الموقف الذي يعتقد بصحته، فهو في النهاية سيرضخ ويشرب من "نهر الجنون"، الذي شرب منه الجميع. قبل الحديث عن السبب، وهو وباء كورونا، دعونا نتحدث عن الوباء نفسه، ماذا بعد أن تفشى الوباء وتحول إلى تسونامي جارف، كما يطلق عليه الإيطاليون، هل ستنتفع الإجراءات الصارمة التي انتهجتها الحكومات في وقف انتشاره.

معظمنا يميل إلى التفاؤل، بعض منا متفائل، لأننا نعتقد أن الله لن يتخلى عنا في تلك المحنة، وبعضنا متفائل لأننا نثق بالعلم، ونتوقع أخبارا تخرج إلينا في أي لحظة بعلاج أو لقاح يوقف الفايروس.

هناك من يبني تفاؤله على التجربة الصينية والكورية، حيث شهدت الإصابات بالفايروس انحسارا معما، ولاحت في الأفق عودة إلى الأوضاع الطبيعية.

ورأينا أن الديناميكية جرت على مرحلة شهرين إلى ثلاثة أشهر مع تسجيل انعكاس في الذروة إثر تدابير بالغة الشدة بين الشهرين الأول والثاني. وهو الكلام الذي أكدته المديرية العامة لوكالة "الصحة العامة" الفرنسية، جنيفاف شن، ورغم ذلك قالت بان "الوقت ما زال مبكرا جدا لتأكيد أي أمر كان حول ديناميكية الوباء". وبناء على ذلك، تقول جنيفاف، من المتوقع أن تشهد فرنسا انحسارا للوباء في مايو.

أصحاب هذا الرأي يؤكّدون أن موجة المد في الصين قد عبرت، إذ لم يسجل البلد السبت سوى إصابة محلية واحدة بفايروس كورونا المستجد، بعد ثلاثة أيام من عدم تسجيل أي حالة محلية.

لكن لاختصاصي علم الأوبئة والصحة العامة راي آخر، وهم يخشون أن يكون هذا الهدوء الذي تشهده الصين، بمثابة الهدوء الذي يسبق العاصفة.

الاختصاصي في علم الأوبئة، أنطون فلاهو، كتب في مجلة "ذي لانسيت" الطبية البريطانية متسائلا "هل يعقل أن تكون الصين قد شهدت مجرد موجة منذرة (...) وأن تكون الموجة الكبرى قائمة؟".

ويقول فلاهو إن فهم تعقيدات مسار انتشار الأوبئة، يتطلب العودة إلى المرحلة التي تلت مباشرة الحرب العالمية الأولى، عندما اجتاحت الأنفلونزا "الاسبانية" العالم على ثلاث موجات، متسببة بمجزرة فاقت ويلات المعارك، إذ أودت بحوالي خمسين مليون شخص، قبل أن تزول.

السؤال الذي يستحق أن يطرح كما يؤكد الاختصاصيون هو: ما الذي جعل الأنفلونزا الإسبانية تتبدد؟ هذا السؤال تصدى له علماء الرياضيات، ومن أبرزهم الاستكندريان، ويليام أوجيلفي كيرماك، وأندرسون غراي ماكندرلي، اللذان يعلمان على وضع نماذج رياضية تسمح بفهم تطور الوباء.

وحسب العالمين فإن أي وباء لا يزول "بزوال المقاتلين"، أي أن "العامل المعدي" لا يزول في نهاية المطاف مع المرضى الذين يقضي عليهم، بل باكتساب الناس مناعة جماعية تعرف بـ"مناعة القطيع".

والمقصود بالمناعة الجماعية هنا "نسبة الأشخاص المحصنين ضد الفايروس (سواء بالحقن أو التلقيح حين يكون اللقاح متوافرا) الواجب الوصول إليها لإزالة أي

الوباء يضع المخابرات في مشكلة مزدوجة

أجهزة الاستخبارات تُجبر على خوض حرب مع عدو شبيه لها غير مرئي



ممنوع التجسس في زمن كورونا

أو مجموعات مدفوعة من هذه الدول، يكمن في هجمات مكثفة ومتطورة تستهدف إدارة أو هيئة. وأشار خبير في هذا المجال أمضى سنوات طويلة في العمل الميداني إلى أن الدول الكبرى لديها شبكات متينة ومتكاملة تمكنها من مواجهة هذا الخطر.

وقال "هجوم إلكتروني ضخم ومكثف تنقطع فيه الإنترنت، يمكنك القيام بذلك ضد دول نامية. لكن لتعطيل الإنترنت في الدول الغربية، عليك أن تعمل جاهداً".

كان البعض يامل في هدنة في الهجمات الإلكترونية في العالم، إذ أن التعاون العالمي وحده يمكن أن يغلب على الوباء الفتاك. لكن بن ريد من جهاز تحليل التجسس الإلكتروني في شركة "فاير آي" الأميركية قال "شهدنا خلال الأسابيع الستة الأخيرة هجمات صينية خطيرة توصل عملياتها ضد أهدافها الخارجية الاعتيادية".

المخابرات مجبرة على تفادي انتشار الفايروس في صفوفها، كما تواجه زيادة كثيفة لتبادل محتويات سرية

واكد "ما زال الوقت مبكرا لرؤية انحسار في حجم الأنشطة، لكن ما نراه مشابه لأنماط العادي، ولا مؤشر لهذبة"، مشيرا كذلك إلى مواصلة الأنشطة في كوريا الشمالية وآسيا الجنوبية وروسيا.

من جهتها قالت المحللة في مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية في واشنطن سوزان سبولدينغ "ليس من الضروري تعبئة الكثير من العناصر ولا الكثير من الموارد لشن هجمات كهذه".

وتابعت "روسيا تخوض كل يوم عمليات تضليل إعلامي هدفها ضرب الثقة العامة في ديمقراطيتنا، وليس هناك ما يدعو إلى الاعتقاد بأنها ستوقف".

وتراقب الحكومات الغربية موسكو التي تتهمها بشن عمليات تضليل إعلامي مزايادة حول فايروس كورونا المستجد.

ونسبت مجموعة العمل "إيست ستراتيجوم" التابعة للاتحاد الأوروبي والمخصصة لمسائل التضليل الإعلامي، إلى موسكو ما لا يقل عن 110 حملة وقعت بين 22 يناير و19 مارس، وهو ما يعتبر "من خصائص استراتيجية الكرملين الثابتة باستخدام التضليل الإعلامي لتوسيع الانقسامات وزرع الريبة والفوضى ومقاومة أوضاع الأزمة". وهي اتهامات ترفضها السلطات الإلكترونية والتشهير وغيرها، بدورها إلى الغرب.

بوست" مؤخرا، أن أجهزة المخابرات الأميركية نبهت في شهري يناير وفبراير الماضيين، بشكل سري، من تحول فايروس كورونا (كوفيد-19) إلى وباء عالمي، لكن الرئيس دونالد ترامب، استهان بذلك التحذير.

وأضافت الصحيفة أن ترامب والمشرعين الأميركيين قللوا من شأن تحذير المخابرات، وأخفقوا في اتخاذ إجراءات من شأنها الحد من انتشار الوباء الذي أصاب أكثر من 19 ألفا و770 شخصا داخل الولايات المتحدة.

وأثنى الرئيس الأميركي مارا على جهود إدارته في كبح فايروس كورونا لأنه فرض قيودا سريعة على دخول الصينيين أو من زاروا البلد الآسيوي، لكن الولايات المتحدة سرعان ما شهدت ارتفاعا كبيرا في عدد المصابين بالعدوى.

وباتت أجهزة المخابرات في الولايات المتحدة اليوم تعاني من مشكلة كبيرة، على ما أوضح الباحث في جامعة جيمس أون في واشنطن والحلل السابق في البحرية الأميركية براين بيركينز.

لكنه أضاف إلى هذه الصعوبات عقبة أخرى وهي التواصل البشري الذي يشكل عماد العمل الاستخباراتي، ويات في بعض الأحيان مستحبالا.

وقال "أكبر تحدٍ يطرحه كوفيد-19 هو عجز العناصر الميدانية في الأجهزة عن العمل في المناطق التي تسجل تفشيا كبيرا للوباء، وخصوصا المناطق التي فرض فيها قيودا على التنقل".

ويحتم الخطر المتزايد في هذا الوضع تحرك فرق الاستخبارات بشكل مختلف والحد من النشاط قليلا، فيما لا يزال حجم العمل المطلوب على ما هو، لا بل في تزايد.

وتنصب جهود الإدارات والحكومات بشكل شبه حصري على الوباء، ويعود بالتالي لأجهزة الاستخبارات الاهتمام بما تبقى.

ويجمع الكل على أن الأخطار تأتي من شبكة الإنترنت، سواء مخاطر شن هجوم على هيئة رسمية أو إحدى البنى التحتية، أو التلاعب بالرأي العام الذي يسيطر عليه القلق من خلال بث أخبار مضللة.

وأعلنت الشرطة الأوروبية "يوروبول" في بيان "أن الجهات السيئة النوايا تستغل هذه الظروف الجديدة"، مضيفة أن "هجمات الاتحاد الأوروبي ذات الصلاحيات على تواصل وثيق في ما بينها" من أجل مواجهتها.

لاهدنة في الهجمات

إن مروحة التهديدات واسعة، من أعمال النهب الاقتصادية والاستراتيجية وتعديل البيانات الانتخابية والعلمية وغيرها) مرورا بشل الخوادم وحملات التصيد الإلكتروني والتشهير وغيرها، لكن الخطر الأكبر الناجم عن دول عدوة

سأهم تفشي فايروس كورونا المستجد في تعطيل كل القطاعات والأجهزة الحكومية في كل بلد بلا استثناء. ولم تمنع أعتى أجهزة المخابرات الغربية بدورها من البلبلة التي أحدثها الوباء رغم كل ما قيل عن التحذيرات التي تلقاها مثلا الرئيس الأميركي دونالد ترامب مبكرا من فايروس كورونا أو كيف تجسس جهاز المخابرات "الشاباك" على الإسرائيليين لوقف تفشي المرض. وتجد أجهزة الاستخبارات اليوم نفسها في مهمة صعبة ومشكلة معقدة ومزدوجة في تعاملها مع عدو مثلها غير مرئي.

لكن انتشار المرض في رقعة واسعة من الأرض جعل أجهزة المخابرات دورها مجبرة على التفاعل مع كورونا كعدو مباشر لها وجب التوقي منه قبل كل شيء ما عجل باتخاذ أجهزة كثيرة من الاستخبارات الغربية إجراءات للتوقي من انتقال العدوى لصفوف عملائها.

وحاولت أجهزة المخابرات لعب دور فعال في إبلاغ الحكومات بالتطورات والمستجدات في ما يتعلق بالوباء، حيث عمد رئيس الوزراء الإسرائيلي المنتهية ولايته بنيامين نتنياهو إلى إعطاء الضوء الأخضر لجهاز "الشاباك" للتجسس على المواطنين لوقف انتشار فايروس كورونا.

وسمح له بالحصول على بيانات من أي هاتف دون إذن في محاولة السيطرة على هذا الفايروس المستجد ومنع تفشيه.

وتعد التقنيات المستخدمة شبيهة بتلك التي تستخدمها هذه الأجهزة في حربها ضد الإرهاب.

ووفقا لما كشفت عنه أيضا منذ أيام صحيفة "فيلت" الألمانية اليومية، فإن جهاز المخابرات الخارجية الألماني (بي. إن. دي) قدم للحكومة الألمانية والسلطات الصحية في ألمانيا معلومات حول كورونا وعملية انتشاره قبل أسابيع من الإعلان رسميا عنه.

وحسب معلومات واردة من الدوائر الأمنية، فإن جهاز المخابرات الألماني تنصت على مكالمات واتصالات لاسلكية للحكومة الصينية، ولم يمنح هذا الأمر عملاء الجهاز معلومات حول المرض نفسه فحسب، بل أيضا عن الاستراتيجية الأولى للحكومة الصينية للتستر على تفشي المرض.

وبنفس الطريقة تقريبا، تصرفت أجهزة المخابرات الأميركية في أزمة كوفيد-19، وفقا لتقارير أميركية، فقد تطابقت أخبار تفيد بأن مدير الاستخبارات الوطنية، المسؤول عن جميع وكالات المخابرات الأميركية 17 أبلغ البيت الأبيض أنه أمر بالحصول على بيانات أنية حول أصل فايروس كورونا وتطوره وانتشاره والسيطرة عليه وتحليل كل ذلك.

وتعد الولايات المتحدة واحدة من البلدان القليلة التي لديها جهاز مخابرات خاص بالمعلومات الطبية والصحية، وهو ما يعرف بالمركز الوطني للاستخبارات الطبية (أن. سي. أم. آي)، الذي يخضع لسلطة وكالة الاستخبارات الدفاعية (دي. أي. أيه). وكشفت صحيفة "واشنطن

باريس - أدى تفشي فايروس كورونا المستجد المعروف بوباء كوفيد-19 إلى شل أكثر القطاعات أهمية وحساسية، ما أجبر جل الدول المتضررة من الوباء إلى أن تلجأ إلى العمل عن بعد. ولم تستثن أخطار كورونا أي قطاع، فحتى أجهزة المخابرات القائمة أدوارها أساسا على التجسس تجد نفسها اليوم في صراع مع الوقت لإيصال المعلومات، وفي حرب مع الوباء الذي أجبر جل أعضاء فرق الاستخبارات الغربية على العمل من البيوت.

وبين الضغط الشديد على شبكة الإنترنت وتقليص حجم فرق أجهزة التجسس وتهديدات متعددة الأشكال، يُحدث تفشي فايروس كورونا المستجد بلبله طالت أو ساطت المخابرات الغربية، في وقت ينحصر تركيز الحكومات على الوباء العالمي وحده.

وفي وقت يتغللق العالم بشكل متزايد على نفسه سعيا لاحتواء انتشار وباء كوفيد-19، تجد أجهزة المخابرات نفسها أمام مشكلة مزدوجة، إذ أنها مرغمة على إعادة تنظيم نفسها على نطاق واسع لتفادي انتشار الفايروس في صفوفها، فيما تواجه زيادة كثيفة للمبادلات عبر الإنترنت من محتويات رسمية وغير رسمية، سرية وعلنية، صحية وخاطئة.

تهديدات متعددة الأشكال

تواصل الأجهزة عملها مترصدة التضليل الإعلامي والهجمات الإلكترونية بسائر أشكالها، فنظم تتأوب فرقتها في المقرات، وهو ما يعرف في المعجم العسكري بـ"نمط منع التعطيل".

وأوضح عنصر سابق في "المديرية العامة للأمن الخارجي" الفرنسية أن البريد الإلكتروني لأجهزة المخابرات العسكرية مشفر بمستوى من الأمان يتيح للعناصر استخدامه من منازلهم.

لكنه أضاف أن هذا البريد لا يتيح الوصول إلى قواعد البيانات الأكثر حساسية موضحا أن "هناك استمرارية على صعيد العمل، لكن الاستخبارات الاستراتيجية ستكون حكما أقل حجما".

عند بداية تفشي الوباء في مدينة ووهان الصينية، كانت جل الأنظمة وفي مقدمتها تلك التي تقود القوى العظمى لتتوقى من الفايروس واتخاذ إجراءات استباقية تجنب بلدانها الكارثة المنتظرة.

الإجراءات الصحية المتخذة من عزل وإقامة حواجز وحجر منزلي، إضافة إلى عوامل الطقس توقف انتشار الفايروس ولكنها لا تضعفه أو تقلل من خطره

جاء ذلك في كلمة لها حول تفشي الفايروس، خلال اجتماع للكتلة البرلمانية لحزبي "المسيحي الديمقراطي" و"الاتحاد الاجتماعي المسيحي". وأشارت ميركل حينها إلى أن كفاح ألمانيا ضد كورونا سيستغرق وقتا طويلا.

بوريس جونسون أكد، في بداية مارس، أن الجيش البريطاني مستعد للتدخل، ولكن ضمن أسوأ سيناريو، في حال تفشي الفايروس بشكل كبير، وأثار غضب البعض عندما نصح بتجنب اتخاذ تدابير مسبقة، لأن أثارها سوف تكون غير مجدية، والأهم في الوقت الحالي التعامل مع الحالات المصابة وتوفير الرعاية الصحية.

ورغم أن موقف جونسون قوي، من الناحية العلمية، ويستند إلى إرشادات مستشارين علميين؛ فهو يقترح حماية كبار السن والأكثر عرضة للوفاة من البشر، بينما الأقوياء يمكنهم بمناعتهم الذاتية التغلب على الفايروس، إلا أنه فضل التراجع، شاربا من "تهر الجنون"، وقرر إغلاق الحانات والمطاعم والمسارح ودور السينما وصالات الألعاب الرياضية لإبطاء الانتشار المتسارع للمرض؛ عاملا بنصيحة الأوروبيين. وحسب صحيفة ليبراسيون الفرنسية، فإن قرار جونسون جاء بعد أن وجه له الزعيم الفرنسي إنذارا صباح الجمعة، مهددا بفرض حظر على دخول أي مسافر قادم من بريطانيا في حال لم تتخذ الحكومة البريطانية إجراءات جديدة.

في النهاية، لن يقضى على الفايروس إلا باكتساب البشر مناعة طبيعية ضده، أو مع توصل العلماء إلى لقاح فعال يوقف انتشاره.

كل الخطوات، في ظل غياب اللقاح، لن تقيد إلا في تعميق الأزمة وإطالتها.



PROTECT THE NHS